دأبت سفارات الدول الكبرى على إيجاد أرضيات مشتركة لها داخل العراق بعد عملية التغيير التي حصلت فيه، سواء كانت تلك الدول مشاركة أم غير مشاركة في ذلك التغيير الذي حصل، فتجد مثلا فرنسا التي عارضت ورفضت العمل العسكري الذي قادته أميركا في العراق، تسعى بجد وجهد كبير للعمل فيه وبمختلف المساهمات، وحذت حذوها العديد من الدول وهذا الأمر يأتي لأدراك جميع تلك الدول وإيمانها بأهمية العراق كبلد مترف اقتصاديا وحضاريا وثقافيا.

على ضوء اتفاقية التعاون الاستراتيجي

شرل هاريس لـ(المدى): 4500 عراقي إلى أميركا من أجل التبادل المعرفي

شرل هاريس

□ بغداد/ يوسف المحمداوي

الولايات المتحدة الأميركية قائدة العالم والتغيير الذي حصل في العراق، أبرمت مع الحكومة العراقية اتفاقيات طويلة الأمد عدة، منها ما يخص الجانب العسكري بعد عملية الانسحاب التي حدثت في الحادي والثلاثين من كانون الأول العام الماضي، فضلا عن اتفاقيات أخرى غير عسكرية، هناك اتفاقيات أخرى تخص الجانب الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي والثقافي، ولما للجانبين الاجتماعي و الثقافي من أهمية خاصة في حياة المجتمعات، تفتح "المدى" تحقيقا ميدانيا في تلك الجوانب لفهم صيغة التبادل والاستفادة من طبيعة ذلك التبادل المعرفي الذي نصت عليه اتفاقية التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة الأميركية والعراق.

نشاطات مختلفة ومهمة

شرل هاريس مساعدة مسؤول المكتب الثقافي في السفارة الأميركية – قسم العلاقات العامة، أكدت للمدى أن السفارة الأميركية في العراق ومن خلال مكتبها للشؤون الثقافية تبنت العديد من البرامج المهمة التي يطلق عليها مشاريع التبادل الثقافي، وذلك من خلال إرسال عدد من العراقيين إلى الولايات المتحدة الأميركية، للمشاركة بمختلف النشاطات التي نتبناها ونرى فيها خدمة الشعبين العراقي والأميركي.

هاريس تأمل وبعد استتباب الوضع الأمني في العراق أن يحضر المواطن الأميركي الى العراق، للاستفادة عبر الاطلاع على الإرث الحضاري لهذا البلد المهم في العالم.

هذا وقد أوضحت هاريس عن البدء في استقبال طلبات التقديم على برنامجين ضمن برامج التبادل الثقافي بين العراق والولايات المتحدة الأميركية هما: برنامج فولبرايت للمنح الدراسية، وبرنامج همفري لتعليم اللغة الأجنبية ضمن برنامج فولبرايت اللذان بدأ في الأول من حزيران الماضي في برنامج زمالة هارفورد في الولايات المتحدة الأمريكية.

وأضافت هاريس أن ما تقوم به سفارة الولايات المتحدة الأميركية من برامج ثقافية متنوعة وضمنها البرامج الدراسية كبرنامج فولبرايت للدراسات العليا يندرج ضمن إطار اتفاقية التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة الأمريكية والعراق، مشيرة إلى الاستمرار في إرسال ٥٠٠ عراقي سنويا إلى الولايات المتحدة الأمريكية وبمختلف البرامج التي تشمل التبادل الثقافي، وقد بلغ العدد المرسل منذ العام ٢٠٠٣ الى يومنا هذا ما يقارب الـ ٤٥٠٠ عراقي.

تعليم اللغتين العربية والانكليزية

وقالت هاريس: إن هناك برامج عدة حرصت السفارة على تطبيقها، منها على سبيل المثال لا الحصر برامج تعليم اللغة الانكليزية، وهو برنامج قصير يساعد المتحدث بالعربية الذاهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية في تعلم اللغة الانكليزية هناك، وكذلك المساهمة في تعليم اللغة العربية للطلبة الاميركان، وأشارت هاريس إلى أن البرامج وإن كانت صغيرة لكن يجب أن تكون عميقة ومفيدة، وعن تمويل هذه البرامج قالت هاريس "أنها تمول بالكامل من قبل حكومة الولايات المتحدة الأميركية ضمن إطار اتفاقية التبادل الاستراتيجي بين العراق والولايات المتحدة الأمريكية، وبينت أن الهدف من هذه البرامج هو تعريف العالم بالثقافة الأميركية، وأن برامج التبادل الثقافي بين العراق والولايات المتحدة الأميركية ستتيح لكلا الشعبين فهم أحدهما الآخر ، معربة عن سعادتها بأن تحظى السفارة الأمريكية في العراق بالقسم الأكبر من هذه البرامج التي ستبني العلاقة الجيدة جدا بين العراق والولايات المتحدة الأميركية.

الفن والموسيقى والرياضة

ومن الفعاليات التي نتبناها أيضا في المكتب – تقول هاريس – رعاية نشاطات ثقافية متخصصة بالفن والموسيقى والرياضة، وتوفير جميع الأمور الكافلة لنجاحها، وقد شارك العديد من العراقيين في تلك النشاطات واقروا بنجاحها والاستفادة منها في جميع البرامج التي أقيمت.

على صعيد التعاون التعليمي والتربوي بين البلدين بينت هاريس، ان هناك سعيا بجهود عالية لخلق نوع من التلاحق والاتصال ما بين المؤسسات التعليمية العراقية والأميركية، او ما يسمى بالتوأمة ما بين الجامعات، وهذا ما يصب في مصلحة البلدين على مستوى التربية والتعليم.

ومن متطلبات نجاح ذلك التلاحق تقول هاريس: إن العمل يركز على أعضاء الهيئات التدريسية من أساتذة الجامعات العراقية، وإرسالهم إلى الجامعات الأميركية للاطلاع على مناهج الدراسة وأساليب التدريس وفق الآليات الحديثة.

التبادل المعرفي بالتعليم

وتؤكد هاريس: أن الجانب المهم في هذا العمل هو إرسال الطلبة العراقيين إلى الجامعات الأميركية، حيث تتم معايشتهم مع طلبة الجامعات الأميركية، وتعريفهم بمستوى التطور في التعليم، وإعطاؤهم فكرة عن كيفية الحصول على مهنة تحقق الطموح، وما هي الحقول العلمية والأدبية المهمة في العالم، وهذا ما يساهم في تنمية وتطوير مستقبلهم المهني ما بعد التخرج.

وأشارت هاريس إلى أن المشاريع التي يقوم بها المكتب الثقافي تعد الصورة العملية من مشروع الاتفاق الاستراتيجي والمكمل لها، وهو من أولويات عمل السفارة والشاغل الرئيس لكادرها ومكتبها الثقافي.

موضحة أن السفارة الأميركية ورغم عدم امتلاكها مركزا ثقافيا معلوما او معلنا اعلاميا، لكنها تقوم عمليا بأكثر واكبر من أعمال المراكز الثقافية التي تقوم بها السفارات الأخرى، لأن – وكما تقول هاريس – للسفارة برامج عمل مباشرة مع الفنانين العراقيين، وكذلك مع الطلبة، والإسهام في تكثيف البرامج الثقافية الخاصة بالأطفال، مؤكدة أن نسبة التعاون الأميركي – العراقي التي تقوم بها السفارة الأميركية تعد اكبر نسبة تعاون ثقافي على المستوى العالمي الذي تقوم به أية سفارة أخرى.

الزائر الدولي في الإعلام الأميركي

وحول تعاون المكتب الثقافي في ايجاد قنوات مشتركة بين المؤسسات الإعلامية الأميركية والإعلامية العراقية، تقول هاريس: الحقيقة نحن لا نمتلك برامج توأمة مع المؤسسات الإعلامية العراقية كما يحدث في المجال التعليمي، لكن تم اختيار العديد من الصحفيين العراقيين وتم إرسالهم الى أميركا لالتقاء بنظرائهم من الصحفيين الأميركيين، ونحن نعمل ذلك مع جميع الفضائيات والوكالات الإخبارية والصحف، ومثال ذلك لدينا برنامج اسمه الزائر الدولي، وهذا البرنامج يتم تطبيقه لعدة مرات في السنة، وذلك باختيار صحفيين عراقيين من مؤسسات مختلفة، ويتم إدخالهم في دورات متخصصة في الصحافة فقط داخل أميركا، وذلك من اجل اطلاعهم على العمل الإعلامي في المؤسسات الأميركية، وعمليات البث وأساليب النشر وجميع مفردات وتقنيات الإعلام الحديثة والمتطورة وفق التقدم التكنولوجي الحاصل، فضلا عن إرسال صحفي لتغطية الانتخابات الأميركية، لمعرفة طريقة التغطية وكيف يتم التعامل معها من قبل الإعلام الأميركي، وهو مثال من أمثلة عديدة يركز فيها مكتبنا على العمل الصحفي، ويوليه الأهمية الخاصة التي يستحقها كمنبر عراقي مهم، وأكدت هاريس بالقول أن جميع تلك الفعاليات هو لتعزيز الحوار الحضاري ما بين البلدين وترسيخ الخطاب الثقافي بينهما وبجميع الروافد النافعة والعميقة.

صيانة المتاحف والآثار

وعن عمل المكتب ومساهمته في استرداد الآثار العراقية التي نهبت، وكذلك الأرشيف اليهودي الذي تم نقله من العراق إلى أميركا من قبل قواتها العسكرية، اثنت هاريس على أهمية السؤال ولكنها أشارت إلى وجود زميلة لها في المكتب يمكنها الإجابة على ذلك لكونها متخصصة بالآثار والإرث الحضاري العراقي، وللأسف لم نجدها لكونها مشغولة بالعمل حاليا مع المتاحف العراقية في موضوع مهم هو صيانة الآثار العراقية في مختلف متاحف وآثار المحافظات العراقية.

ولمعرفة الجهات التي شاركت في تلك البرامج وأفادت منها عمليا على ارض الواقع، التقت "المدى" برجل الدين الشيخ حيدر رياض الشمري وهو احد طلبة الحوزة العلمية وعضو مجلس أعيان كربلاء، والذي وجهت له الدعوة لزيارة أميركا من قبل ذلك المجلس الذي تبنى تلك الدعوات.

يقول الشمري: عندما وجهت لي الدعوة قمت بمناقشة الأمر مع أساتذتي فوافقوا على ذلك بل قاموا بتشجيعي لمعرفتهم بأهمية الأمر كونه تعد رسالة لنقل صورة صادقة عن الإسلام الحقيقي، يتم من خلالها تفنيد الحملات والصورة المشوهة التي طالت الدين الإسلامي، موضحا بأنه نجح في المسؤولية مع إخوته الآخرين الذين ألقيت على عاتقهم تلك المسؤولية التي كان النجاح فيها ثمرة العمل رغم قصر الفترة .

احدى المعارض الفنية

ثقافة الأديان والحوار

وأوضح الشمري انه تفاجأ والوفد العراقي الذي معه بالاستقبال البارد من الإخوة العرب في بعض الدول العربية، حيث عوملنا وكأننا نحن من جاء بالاحتلال، وهذه المشاعر واضحة تجاه الجميع سواء إخوتنا السنة في الوفد أم نحن الشيعة او الإخوة المسيح الذين يمثلهم الأب مارتن، وتصور هؤلاء العرب كما يقول الشيخ حيدر بأننا كنا مقصرين في حماية البلد، والبعض يعدون صدام بأنه رمز للبطولة والفداء ويطلقون عليه صفة الشهيد، وقلنا لهم إن أي إنسان في العالم لا يرضى بأن يحتل بلده ولكن صدام بجبروته وطغيانه أغلق جميع أبواب التغيير في وجه العراقيين وأذاقهم مختلف أنواع الظلم والاضطهاد، فضلا عن حماقاته في حروب طائشة.

وعن نتائج تلك الزيارات يقول الشيخ حيدر إنها مثمرة جدا لجميع الأطراف وإفهام الآخر ثقافة الأديان والطوائف التي ننتمي لها، فالبعض وللأسف – والكلام للشمري – يعتبرون الشيعة دينا آخر، ولديهم صورة سلبية عن مذهبنا، ولكن بجهودنا كفريق عراقي سواء من إخوتنا السنة أو الشيعة والأب مارتن أيضا استطعنا أن نلغي تلك الصورة المزيفة إلى درجة أن احدهم وهو الأخ إياد القاضي قال بالحرف الواحد "نحن انتم وانتم نحن".

لا للاختيارات الحكومية العشوائية

وعن الأسباب التي تقف وراء هذا الفهم الخاطئ يؤكد الشيخ أنه متأتٍ من غياب هذه البرامج المهمة التي تؤكد الحوار العميق والمفيد وفهم آراء الآخرين، وتوحيد الخطاب الإسلامي من خلال طرح الرؤى والأفكار.

وعلى الرغم من أن الحكومة العراقية لها السبق في مسألة الحوار مع الأديان الأخرى والاستفادة من تجارب الشعوب في القضاء على التعصب والتخندق مهما كانت روافده – كما يقول الشمري – إلا انه أشار الى وجوب اختيار الممثلين لتلك البرامج على مستوى الكفاءة والخبرة والدراية، وليس من خلال المحسوبية والاختيارات الحكومية العشوائية، معتقدا أن الدعوة والتكثيف لتلك البرامج يجب أن يستمران ويُستفاد من خلالهما في عملية تأسيس وترتيب البيت العراقي الذي نتمنى، مشيرا الى ان اميركا شهدت العديد من الحروب الأهلية، فضلا عن مشكلتها الكبيرة في التمييز العنصري، لكنها استطاعت التخلص منها والسبل التي أدت الى ذلك هي التي تهمنا من اجل تطبيقها بين مكونات الشعب العراقي.

بكالوريوس هندسة وفلسفة لاهوت

الأب مارتن هو القس اوغن هرمز داود راعي إحدى الكنائس في بغداد، وبكالوريوس هندسة مدنية، وكذلك بكالوريوس فلسفة لاهوت، يعمل ضمن الاختصاصين كراع للكنيسة ومهندس معماري يساهم في بناء الكنائس، هو الآخر كان من المشاركين في هذا البرنامج، التقته المدى لكونه احد أعضاء الوفد الزائر ليبين لها بشأن الجنسيات المشاركة في ذلك البرنامج وعملهم حيث يقول إن الصفة السائدة هي للمهتمين بالقضايا الدينية، فمنهم من الكويت ،الجزائر ،تشاد ،مصر ،سوريا ،الاردن ،موريتانيا ،وغيرها من الدول باستثناء السعودية وإيران والإمارات.

ويرى القس أن هدف تلك الزيارات هو لزيادة المعرفة الحضارية والدينية والثقافية بين الشعوب، والتعمق في معرفة الحياة التي يعيشها المجتمع الأميركي، والدروس التي يمكن الاستفادة منها في تجربة أميركا بشأن الحروب الأهلية والطائفية التي عاشتها وكيف تمت معالجتها والتغلب عليها.

أديان عجيبة غريبة

ويبين القس انه فضلا عن وجود الديانات الكبيرة كالمسيحية والإسلام واليهودية في أميركا، فهناك أديان عجيبة غريبة مثل دين الحب، دين الرحمن الرحيم، دين الوردة، واديان أخرى ما انزل الله بها من سلطان، ولكن مع كثرتها كما يقول القس هناك حرية واسعة لممارسة طقوس تلك الأديان وشعائرها، فالاستفادة هي في فهم طبيعة التعايش وماهيات تلك المجتمعات وكيفية مقدرتها على نبذ التعصب والتمييز.

ويرى القس أن اللقاءات التي تحققت كانت على مستويات، فمن غير اللقاءات الرسمية التقينا مع مؤسسات ومنظمات المجتمع المدني، وعملنا في سبيل إيجاد ارضية مشتركة مع تلك المؤسسات، وهناك مستوى آخر هو اللقاء والحوار مع التجمعات الشعبية، والنزول والتعايش مع أهالي المنطقة وبالتحديد التي تضم أديانا متعددة او قوميات متعددة، فهناك وجدنا كما يقول القس، المسيحي، المسلم ،اليهودي، البوذي، الهندوسي، السيخ، وفي تلك المناطق البسيطة بشعبيتها تجتمع تلك الأديان في كنيسة أو جامع أو معبد يهودي، فتصور والكلام للقس أثناء زيارتنا لمعبد يهودي كان باستقبالنا هناك شيخ جامع من جمهورية مصر العربية، لا فرق بنظرهم بين طرف وآخر، والكل ينظر الى إنسانية الآخر قبل الانتماءات الأخرى، مؤكدا أن العراقي يدرك تماما أن الفتن التي حصلت هي طارئة وليست من قاموس ثقافة العراقي الأصيلة والحضارية، موضحا أن ما حصل في العراق لو ١٠٪ منه حصل في أي بلد آخر لما استقر ذلك البلد، ولكن وعي المواطن وأساسيات ارثه الحضاري هما من جعلاه محصنا من تلك الأدران الدخيلة على مجتمعنا العراقي بحسب قوله.

■ الأب مارتن: هدف تلك الزيارات زيادة المعرفة الحضارية والدينية والثقافية بين الدول

القس اوغن هرمز

■ طالب من الحوزة: علينا الاستفادة من تجارب الشعوب للتخلص من الفتن

الشيخ حيدر الشمري

المحرر مع مساعدة مسؤول المكتب الثقافي